القوامة في القرآن الكريم
حق من حقوق المرأة

بحث مقدم

إلى مؤتمر(أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية)
والذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر – كلية
الشريعة والقانون – فرع طنطا – وجامعة طنطا

خلال الفترة

من ٧ – ٩ أكتوبر ٢٠٠٨م

تأليف

أ . د / فهد بن عبدالرحمن الرومي

أستاذ الدراسات القرآنية

كلية المعلمين – جامعة الملك سعود

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن السعادة مطلب أساس وحاجة ضرورية للإنسان تسعى الشرائع والأنظمة لتحقيقها.

والشريعة الإسلامية شريعة ربانية جاءت بما يكفل تحقيقها، ويرسي دعائمها حيث قامت ببناء الفرد وتهذيبه بترسيخ الإيمان في قلبه وتشريع العبادات التي تهذب سلوكه وتربطه بخالقه، وتنقية قلبه من الشوائب والأحقاد والأضغان وزرع الأخلاق الفاضلة والآداب الحميدة والمحبة للآخرين والإخلاص والتعاون والشعور بالمسؤولية الجماعية .

وبعد بناء الفرد الذي هو لبنة صالحة لبناء الأسرة جاءت الشريعة الإسلامية بما يكفل سلامة الأسرة واستقرارها من توثيق أواصر العلاقة الزوجية ورسم حدودها وبيان ما للزوج وما للزوجة وتوزيع أعبائها ورسم أهدافها وإسناد القيادة فيها إلى الأكفأ والأصلح.

فكان تشريع القوامة عاملاً أساساً لسلامة الأسرة وإحكام بنائها وقيادة السفينة إلى بر الأمان.

وقد واجه تشريع (القوامة) حملة شديدة إما جهلاً بمعناها ومبناها وإما تقليداً للغرب وإعجاباً بحضارتهم الاجتماعية الزائفة فاحتاج الأمر إلى مشاركة المختصين ببيان معناها وآثارها وتنقيتها مما شابها من سوء استخدام، واستغلال سيء من بعض الأزواج .

وقد رأيت أن أكتب هذا البحث بعنوان (القوامة في القرآن الكريم حق من حقوق المرأة).

هذه القوامة التي حاول خصوم الإسلام وأعداؤه وبعض المغرضين ودعاة التغريب تشويهها واستغلالها لتحريض المسلمة على رفضها زاعمين أن في القوامة استعباداً للمرأة وإذلالاً لها

وامتهاناً لكرامتها، ودعوها إلى رفضها والتمرد عليها وهم يريدون أن يكون ذلك خطوة إلى رفض أحكام الشريعة كلها لينفذوا من ذلك إلى إطلاق حرية المرأة وتخليها عن عفتها وحيائها وانجرافها لمحاكاة المرأة الغربية لتنهار الأسرة الإسلامية كما تفككت عراها هناك.

مما يستدعي أهل العلم ورجال الإصلاح إلى التصدي لهذا الهدف المشبوه وكشف حقيقة هذا التشريع السامي وذب الشبهات عنه وبيان آثاره في تماسك بناء الأسرة وتلاحمها. نسأل الله التوفيق والسداد للجميع .

وكتبه

أ. د/ فهد بن عبدالرحمن الرومي

أستاذ الدراسات القرآنية

كلية المعلمين – جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

لم تكن المرأة في الجاهلية تحظى بحقوقها فقد كانت مهملة مظلومة، وكانوا ينظرون إلى المرأة على أنها من سقط المتاع فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم) حتى الإرث لم يكن للمرأة منه نصيب فقد كانوا يقولون: (لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة).

وكانوا يكرهون البنات ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل : ٥٨-٥٩)، فكانوا يئدونهن في التراب أحياء بلا شفقة ولا رحمة. ولا ذنب ولا عيب ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾.

ولم يكن للمرأة عند زوجها أي حق، وللرجل أن يتزوج ما شاء من النساء بلا حد ولا عدد وله أن يطلق بلا عدد .

وكانت المرأة تورث كما تورث البهيمة فإذا مات الرجل وله زوجة أخرى كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره يرثها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان الرجل إذا مات أبوه أو حموه فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها» .

وإذا مات الزوج اعتدت سنة كاملة وتلبس أسوأ لباس وتسكن شر الغرف ولا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً وكانوا يقايضون بالمرأة فيزوج الرجل ابنته أو أخته لرجل على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته بلا مهر ولا حق للمرأة في الاعتراض.

وجاء الإسلام ورفع من مكانتها وأعلا شأنها وجعلهن شقائق الرجال [١] وأوصى بالنساء خيراً [٢]، وساوى بين الرجل والمرأة في الإنسانية، وأنقذها من براثن تلك الجاهلية. وجعل الجنة

---

(١) في الحديث « إنما النساء شقائق الرجال » رواه أبو داود، حديث ٢٣٦ ص٤٤ .
(٢) في الحديث « استوصوا بالنساء ... الحديث » رواه البخاري، رقم ٣٣٣١ ص٥٥٣ .

تحت أقدامها أماً [(١)]، وجعل ميزان التفاضل بين الرجال الخيرية للزوجة: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» [(٢)]، وحث على إكرام البنات ووعد بالجنة من عال جاريتين[(٣)]، وذم عدم الاستبشار بولادتها ونعى على ما يفعل ذلك، وحرم وأدها، وتوعد عليه ورفع من شأنها وكرمها وهذب أخلاقها وأمر بصيانتها ورعايتها، وتعاهدها بالحفظ والتطهير والبعد بها عما يسقط من قيمتها، أو يفقدها شيئاً من كرامتها، وأعطاها حقوقاً كثيراً لم تعطها إياها أي ديانة أو أنظمة أخرى حتى يومنا هذا .

شرع لها المهر وحرم الأخذ منه بهتاناً وإثماً مبيناً. بل نفر من ذلك تنفيراً : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء: ٢١].

وحرم الزواج من زوجة الأب فضلاً عن تملكها ووصف ذلك بأوصاف أغلظ من الزنا فقد وصف الزنا بأنه: ﴿ فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ووصف نكاح زوجة الأب بأنه: ﴿ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً﴾ [النساء: ٢٢].

وضمن للزوجة النفقة والسكنى وكفل لها الأمن بكل أنواعه وحذر من رمي المحصنات وشرع العقوبة على من تجاوز ذلك ظلماً وزوراً .

وجعل لها نصيباً من الميراث، ولها حق التملك والتصرف بمالها والبيع والشراء، والتعلم والتعليم، وحضور الدروس.

واعتبر شخصيتها واستقلالها عن الرجل فإذا ذكر المؤمنين والقانتين والصادقين والصابرين والخاشعين والمتصدقين والصائمين والحافظين فروجهم والذاكرين الله ذكر المؤمنات والقانتات والصادقات، والصابرات، والخاشعات، والمتصدقات، والصائمات والحافظات فروجهن، والذاكرات، ولم يكتف بتغليب الذكور على الإناث لإظهار فضلهن ومكانتهن.

---

(١) في الحديث عن معاوية بن جاهمة أن جاهمة أتى رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال : هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإن الجنة تحت رجليها ». رواه النسائي، حديث ٣١٠٦ ص٤٢٦.

(٢) رواه ابن ماجه حديث ١٩٧٧، ص٢٨٢ .

(٣) في الحديث: « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه »، رواه مسلم، حديث ٦٦٩٥ ص١١٤٦ .

بل وساوى بين الرجال والنساء في الحقوق بقوله سبحانه: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وزاد بعد ذلك ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « تلك الدرجة إشارة إلى حَضِّ الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق»، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه. قال ابن عطية رحمه الله تعالى: وهذا قول حسن بارع (١). فهذه الدرجة وإن كانت في ظاهرها ميزة للرجال وفضل إلا أن معناها زيادة حق للمرأة من الرجل بالتوسعة عليها في المال وحسن العشرة، ولذا قال ابن إسحاق: (الدرجة الإنفاق وأنه قوام عليها) (٢).

وهكذا نجد أن المزايا والفضائل التي للرجل إنما هي لقيامه برعاية المرأة وخدمتها وحمايتها والنفقة عليها وتفقد أحوالها .

وقل مثل ذلك في القوامة التي أناطها الله تعالى بالرجل ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤]. فالقوامة حق من حقوق المرأة على الرجل لا يؤديه حق الأداء إلا الرجال الصادقون الموفون بعهدهم وهي وإن كانت في ظاهرها ميزة للرجل وفضلاً إلا أنها في واقعها التزام من الرجل برعاية المرأة والنفقة عليها .

وقد حاولت طائفة من المغرضين أو الجاهلين أن يموهوا على الناس في هذا التشريع الإسلامي الحكيم وأن يشوهوا حقائقه ورأوا أن في القوامة استعباداً للمرأة ونقصاً لكرامتها وسلباً لحقوقها. وفات هؤلاء أن في القوامة ضماناً لحقوق المرأة وتكريماً لها ورعاية وصيانة بل هي حرية للمرأة وقيد للرجل .

معنى القوامة :

قام بالأمر يقوم به قياماً فهو (قوام) و(قائم) و(القِوام) بالكسر ما يقيم الإنسان من القوت و(القَوام) بالفتح العدل والاعتدال، قال تعالى: ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ أي عدلاً (٣)، ويقال: فلان قِوام أهل بيته و(قيام) أهل بيته وهو الذي يقيم شأنهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ ولا تؤتوا

(١) تفسير ابن عطية، ج٢، ص٢٧٥ .
(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٢٧٥– ٢٧٦ .
(٣) المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي، ج٢، ص١٨٠ .

السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ (١)، والقوام اسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالأمر؛ يقال هذا قَيِّمُ المرأة وقوامها للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها (٢).

والقَوَّام فَعَّال بناء مبالغة وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، وحفظه بالاجتهاد، فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد (٣).

قال ابن منظور: « وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾، وقوله تعالى: ﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾ أي ملازماً محافظاً»(٤). ثم قال: « والقيم: السيد وسائس الأمر وقيم القوم: الذي يُقَوِّمُهم ويسوس أمرهم.. وقيم المرأة زوجها لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه .. وقام الرجل على المرأة: مانَها. وإنه لقوام عليها: مائن لها، وفي التنزيل العزيز: ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ .. فكأنه والله أعلم: الرجال متكفلون بأمور النساء معنيون بشؤونهن» (٥).

القوامة عند المفسرين :

ذكر المفسرون رحمهم الله تعالى عدة معان للقوامة في قوله تعالى: ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ فابن جرير يرى أن معناها (الرجال أهل قيام على نسائهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم).

ثم نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في (قوامون) يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله، وفضله عليها بنفقته وسعيه (٦). قال ابن عطية: « وعلى هذا قال أهل التأويل» (٧).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: « أي الرجل قيم على المرأة وهو رئيسها وكبيرها والحاكم

---

(١) انظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ص٥٥٨ .
(٢) تفسير الرازي، ج١٠ ص٨٨ .
(٣) المحرر الوجيز: ابن عطية: ج٤ ص٤٠ .
(٤) لسان العرب: ابن منظور، ج١٢ ص٤٩٧ .
(٥) المرجع السابق: ج١٢ ص٥٠٢ – ٥٠٣ .
(٦) جامع البيان: الطبري، ج ص٦٨٧ .
(٧) تفسير ابن عطية، ج٤ ص٤٠ .

عليها ومؤدبها إذا إعوجت» [1].

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: يقومون بما يحتجن إليه من النفقة والكسوة، والمسكن[2].

وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله: « المعنى هو أمين عليها يتولى أمرها ويصلحها في حالها – قاله ابن عباس – وعليها له الطاعة .. ثم قال .. فعليه أن يبذل المهر والنفقة ويحسن العشرة، ويحجبها، ويأمرها بطاعة الله، وينهي إليها شعائر الإسلام من صلاة وصيام» [3].

وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى: « قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى من المحافظة على فرائضه، وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك. وقوامون عليهن أيضاً بالإنفاق عليهن والكسوة والمسكن » [4].

ومن هذا نعلم أن أعباء القوامة تعني أن الرجل هو الحاكم في البيت يقوم ما اعوج من النساء ويرشدها إذا ضلت ويربيها ويحسن تربيتها ويبذل المهر والنفقة والسكنى والملبس والحاجات الضرورية، ويحسن العشرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدفع الأذى ويلزمهن بالمحافظة على الفرائض والبعد عن المحرمات.

ونستطيع أن نوجز معنى القوامة في الإصلاح بأنه: قيام الرجل بما يصلح حال المرأة في دينها ودنياها والنفقة عليها وحسن العشرة والمعاملة .

وينبغي أن نعلم أن المراد بالرجال هنا ليس الأزواج فالتعريف في الرجال والنساء للاستغراق يشمل الزوج والأب وكل من ولي أمر المرأة وإن كان الأزواج يدخلون دخولاً أولياً.

حكمة إسناد القوامة للرجل:

خلق الله الناس ذكراً وأنثى على سنته الكونية في بناء هذا الكون الزوجية ﴿ وَمِن كُلِّ

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٢٩٢ .

(٢) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ج١ ص٤٦٠ .

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، ج١ ص٤١٦ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، ص١٤٢ .

شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، ثم شاء سبحانه أن يجعل الزوجين في الإنسان شطرين للنفس الواحدة ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها ﴾ .

وأراد بالتقاء شطري النفس الواحدة – بعد ذلك – فيما أراد أن يكون هذا اللقاء سكناً للنفس، وهدوءاً للعصب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد .. ثم ستراً وحصناً وصيانة .. ثم مزرعة للنسل وامتداد للحياة مع ترقيها المستمر .. ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾، ولأهمية التقاء شطري النفس الواحدة لإنشاء مؤسسة الأسرة كانت تلك التنظيمات والترتيبات الدقيقة والأنظمة الشاملة والأحكام الدقيقة التي انبثت في سور القرآن في سورة البقرة وسور النور والأحزاب والطلاق والتحريم واحتوت السورة التي وردت فيها آية القوامة وهي سورة النساء على جانب من هذه الأنظمة مما يؤلف دستوراً كاملاً شاملاً دقيقاً لأحوال الأسرة ونظامها وأحكامها ودلت هذه الأحكام بكثرتها وتنوعها ودقتها وشمولها على مدى الأهمية التي أولاها الإسلام لبناء الأسرة .

وفي ظل هذه الإشارات المجملة إلى طبيعة نظرة الإسلام للأسرة وأهميتها ومدى حرصه على توفير ضمانات البقاء والاستقرار والهدوء في جوها وفي سبيل تنظيمها وبيان الاختصاصات التنظيمية المناطة بكل فرد من أفراد الأسرة لمنع التصادم والاحتكاك والتجاوزات بين أفرادها صدر الأمر الرباني الحكيم بإسناد قيادة الأسرة إلى الرجل ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ ثم واصلت السورة التفاصيل بذكر أسباب هذه القوامة ومقوماتها، ومجالاتها، وحدودها، وأسباب حماية هذه الأسرة من النزوات العارضة، وطريقة علاج هذه النزوات والإجراءات التي تتخذ داخلياً وخارجياً، وإذا كانت المؤسسات الأقل شأناً من الأسرة لا يوكل أمرها – عادة – إلا لأكفأ المرشحين لها ذوي المهارات والخبرات والقدرات فأولى أن يختار الأكفأ لمؤسسة الأسرة .

وجعل الله من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتربي وليدها وتعتني به، وفوق ذلك أعباء المنزل وهي وظائف ضخمة أولاً، وخطيرة ثانياً، وليست هينة ولا يسيرة بحيث تؤدَّى بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى، فكان عدلاً أن ينوط بالشطر الثاني

– الرجل – توفير الحاجات الضرورية وتوفير الحماية للمرأة كي تتفرغ لوظيفتها الفطرية الخطيرة، وليس عليها أن تحمل وتضع، وترضع وتكفل .. ثم تعمل وتكد وتسهر لحماية نفسها وطفلها في آن واحد !! وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل وقد أنيطت به القوامة – من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظيفته تلك بل وظائفه وأن تمنح المرأة في تكوينها العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينها على أداء وظيفتها هذه. وكان هذا فعلاً ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

ومن ثم زودت المرأة – فيما زودت به من الخصائص – بما تحتاج إليه من الانفعالات، الرقة والعطف والشفقة والحنان وسرعة الانفعال ورقة القلب والاستجابة العاجلة لمطالب طفلها – بغير وعي ولا سابق تفكير – بما يشبه أن يكو قسراً لكنه قسر داخلي ولذيذ مع ما فيه من مشقة وتضحية .

ومن ثم – أيضاً – زود الرجل فيما زود به من خصائص – بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة، واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة. لأن وظائفه تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام، وإعمال الفكر والبطء في الاستجابة بوجه عام .. وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل في مجالها .

فلإسناد القوامة إلى الرجل أسبابها من التكوين والاستعداد، ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات، ولها أسبابها من العدالة في التوزيع من ناحية وتكليف كل شطر – في هذا التوزيع – بالجانب الميسر له. والذي يصلح له فطرة .

فمن العدالة أن تسند القوامة إلى الشطر المهيأ لها المعان عليها المكلف تكاليفها والمهيأ لها بالاستعدادات الكامنة .

ومن الظلم أن يحملها الجان بغير المهيأ لها وغير المعان عليها ولو حملها إلى جانب أعبائه الأخرى فسد استعداده للقيام بالوظيفة الأخرى وظيفة الأمومة .

إنها مسألة خطيرة – وتغيير للفطرة أخطر من أن تتحكم فيها أهواء البشر، وأخطر من أن تترك لهم يخبطون فيها خبط عشواء وما أصاب الحياة المعاصرة نتيجة انتكاس المهمات

المناطة بالرجل والمرأة من تخبط وفساد، وتدهور وانحلال .

وقد تنبض الفطرة أحياناً في قلب بعض النساء أنفسهن فتتوق المرأة إلى قيام هذه القوامة وشعورها بالنقص والحرمان والقلب والاكتئاب عندما تعيش مع رجل لا يقوم بمهمة القوامة أو تنقصه صفاتها اللازمة فيكل إليها القوامة، وهي حقيقة ملحوظة تسلم بها حتى المنحرفات الخابطات في الظلام .

ونجد أثر ذلك الانحراف في الأطفال الذين ينشأون في أسرة كانت القوامة فيها للمرأة لضعف شخصية الرجل أو لفقده فتبرز شخصية الأم الضعيفة الرقيقة فنرى شذوذاً في تكوينهم العصبي أو النفسي وفي سلوكهم العملي والخلقي [١].

وهذه الأمريكية لوردا دويل حاولت تجربة تولي السلطة في بيتها فكادت أن تنهار أسرتها فتداركت ذلك وحكت تجربتها في كتابها (استسلام الزوجة سر نجاحها) .

وكما سمعنا ورأينا من إمرأة ضجت من زوجها وصرخت بأعلى صوتها أريد رجلاً لأنها لم تسمع لزوجها رأياً ولم يمنعها عن شيء تريده وقالت إنها تريد رجلاً يحكمها ويقودها وتريد أن تشعر بقوته ونفوذه فتشعر بالأمان.

يقول الأستاذ محمد قطب – حفظه الله تعالى –: « إن المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذي تسيره فيخضع لرغباتها بل تحتقره بفطرتها، ولا تقيم له أي اعتبار فهذه هي المرأة الأمريكية بعد أن ساوت الرجل مساواة كاملة وصار لها كيان ذاتي مستقل عادت فاستعبدت نفسها للرجل » [٢].

بل إن المرأة الغربية بعد أن أخذت حريتها المزعومة وانفلتت من كل قيد وقع كثير منهن في شراك عصابات المافيا وشركات الدعاية والإعلان وعروض الأزياء والأفلام والدعارة وأصبحن تحت السيطرة ألعوبة في أيديهم يدفعونها لمن شاؤوا وتفعل ما يريدون وكم من جريمة ارتكبت بحقهن أو .. انتحار .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢ ص٦٤٨ – ٦٥٢ بتصرف .

(٢) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص١١٠ .

إن خلف تلك الوجوه النسائية الفائقة الجمال، الباهرة الأناقة مآسي لا يخفيها بريق الأنوار ولا وميض العدسات إنهن يعشن حياة كئيبة وقلقاً لا يملكن لدفعه إلا محاولة الابتسامة إن لم يجبرن على ذلك .

إن ترك المرأة للمهمة المناطة بها وتوليها مهمة الرجل قد يؤدي إلى انتكاس في تكوينها العصبي والنفسي بل والجسدي فقد ذكرت الدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن (بنت الشاطئ) أنها التقت بطبيبة نمساوية وجرى بينهما حوار عن عمل المرأة فقالت الطبيبة: « إن علماء الاجتماع والفسيولوجيا يتوقعون حصول تطور جديد في المرأة العاملة وذلك لما لاحظوا من تغير بطيء في كيانها لم يثر الانتباه في أول الأمر لولا ما سجلته الإحصائيات عن إطراد النقص في المواليد بين النساء العاملات حسبه الأطباء أنه اختياري محض لحرص المرأة العاملة على التخفيف من أعباء الحمل والوضع .. ولكن هذا العقم لم يكن اختيارياً وإنما نتج عن حصول تغير في كيان الأنثى العاملة نتيجة لانصرافها المادي والذهني والعصبي عن مشاغل الأمومة ودنيا حواء وتشبثها العنيد بمساواة الرجل ومشاركته في ميدان عمله»، ومن يعلم فربما شهد العالم ولادة جنس ثالث لا هو ذكر ولا أنثى وإنما هو جنس ثالث له ثديان وشاربان ويطلقون عليه اسم المرأة العاملة. هذا ما يقول العلم الحديث عن الضرر الذي يلحق بتخلي الرجل عن القوامة وإسناده إلى المرأة أو تخلي المرأة عن مهمتها وتوليها سلطة الرجل(١).

وليس في هذه دعوة إلى تخلي المرأة عن العمل إنما دعوة إلى ترشيد العمل وأن لا يطغى على رسالتها الأصلية الفطرية.

ولعلنا بعد هذا نجمل الأسباب التي ذكرها العلماء لإسناد القوامة إلى الرجل فقد ذكروا أسباباً كثيرة هذا إجمالها:

١ – العقل والتمييز :

وينبغي أن نقول أن للرجل عقلاً وعاطفة وأن للمرأة عقلاً وعاطفة إلا أن عقل الرجل يغلب عاطفته وعاطفة المرأة تغلب عقلها والقيادة تحتاج إلى عقل وعاطفة واحتياجها إلى العقل أكثر

---

(١) انظر: جريدة القبس الكويتية، العدد ١١٧٨ في ١٩٧٥/٨/٣٠م .

فكان الرجل أصلح للقيادة .

وهذا هو الذي ينبغي أن يقرر إذ لا ينبغي أن نجهد أنفسنا في إثبات كمال عقل الرجل وضعف عقل المرأة إذ لا دليل على هذا الكمال ولا دليل على هذا الضعف وإنما قام الدليل على نقص عقل المرأة لا ضعفه، وشتان بين النقص والضعف، وينقض ذلك أنا نرى من النساء من تتولى أمرها وأمر أبنائها عند غياب زوجها في طلب الرزق أو الدراسة أو العمل وتحسن أداء مهمتها.

وينقضه أيضاً أن المرأة تشترك مع الرجل في قوامة أعظم وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة: ٨]، والنداء بصفة الإيمان يشمل النساء والرجال وهي قوامة تعني القيام على أمر هذا الدين وفق الشرع والالتزام بالعدل والقسط .

وينقضه قول الرسول ﷺ : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول، فالإمام راعٍ وهو مسؤول، والرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة » الحديث (١).

ولذا فإن الأمر يجب أن يفسر في ضوء إدراك أن بناء الأسرة تضامني تكاملي ليس بإعطاء المرأة سلطة ندية صراعية كما يفعل أنصار المرأة الغربية، ولا وصمها بضعف العقل وفقد الصلاحية والقدرة كما يحلو لآخرين فالمراد بالتفضيل زيادة نسبة الصلاح في الرجل لرئاسة الأسرة عن صلاح المرأة لها. فهي صالحة وهو الأصلح والمصلحة تقتضي تقديم الأصلح (٢).

٢ – فضل الرجال على النساء :

وهذا الفضل حاصل من وجوه كثيرة – كما يقول الفخر الرازي رحمه الله تعالى – بعضها صفات حقيقية وبعضها أحكام شرعية، أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العلم وإلى القدرة ولا شك أن عقول الرجل وعلومهم أكثر، ولا شك أن

(١) صحيح البخاري، باب قو أنفسكم وأهليكم نارا، كتاب النكاح، ص٩٢٦، حديث ٥١٨٨ .

(٢) انظر مقال: (القوامة بين السلطة الأبوية والإدارة الشورية) للأستاذة هبة رؤوف، موقع إسلام أون لاين نت (بتصرف).

قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل .

فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي، وأن منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة، والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق وفي الأنكحة عند الشافعي رضي الله عنه، وزيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وفي تحمل الدية في القتل والخطأ، وفي القسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء [١].

٣ – بذله النفقة :

لقوله تعالى: ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ يعني الرجل أفضل من المرأة لأنه يعطيها المهر وينفق عليها [٢] ومن يدفع أولى بالقوامة ممن لا يدفع، وثم سبب كسبي يدعم السبب الفطري وهو ما أنفق الرجال على النساء من أموالهم فإن في المهور تعويضاً للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رئاسة الرجال، فالشريعة كرمت المرأة إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قيماً عليها .. كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة .. ورضيت بعوض مالي عنها [٣].

وبهذا فالقوامة على الأسرة هي نتيجة مكتسبة لسبب قد قدمه الرجل ولقي القبول عليه وتحمل في سبيله البذل والإنفاق والجهد، واكتسب على أساسه دوراً إدارياً، يضمن ولايته على شؤون بيته، وعليه فلا يجوز لمن قبل القوامة أصلاً أن يرفضها في مراحل لاحقة، فالقوامة من أسس بناء الأسرة السليمة والنيل منها يكون نيلاً من الصفوة والسكينة في هذه الأسرة وإذكاء لروح التصارع والتفكك فيها، فالأصل بالمرأة أن تتقبل القوامة عليها طالما قبلت ببقائها ضمن مؤسستها الأسرية. على أن يبقى ضمن حقوقها حق الانسحاب من هذه المؤسسة بصورة كاملة

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج١٠ ص٨٨ .

(٢) المرجع السابق، ج١٠/ ٨٨ .

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد، ج٥ ص٦٧– ٦٨ .

إن شاءت ضمن النظام الشرعي للخلع [1].

مفهوم القوامة :

ظل مفهوم القوامة ملتبساً عند كثير من الناس نتيجة أمرين:

الأول : سوء استخدام هذا الحق من بعض الرجال :

فقد فهمه بعضهم على أنه سلطة مطلقة واستبداد بالرأي، وانفراد باتخاذ القرار، وفهمه آخرون على أنه الصرامة في التعامل، والشدة على الأهل والأبناء فلا تعرف الابتسامة طريقاً إلى وجهه، ولا يعرف مداعبة زوجة ولا ملاعبة الأبناء، وفهمه آخرون على أنه القسوة في التأديب، والشدة في الضرب فلا يكاد يلقي عصاه ضرباً للزوجة أو الأبناء، وفهمه آخرون على أنه سيفاً مسلطاً بيده يهزه كل ما اختلف مع أهله في رأي أو قضية مهدداً متوعداً !!

الثاني: طعن كثير من أعداء الإسلام وخصومه والعلمانيين في القوامة :

فزعموا أن القوامة سلب لحرية المرأة وأهليتها والثقة فيها، وزعموا أن في القوامة إلغاءً لشخصية المرأة في بيتها وفي مجتمعها وعدم استشارتها وأن القوامة تمثل عودة إلى استعباد المرأة وإذلالها .

وهذه مفاهيم خاطئة، وشبهات باطلة، واتهامات حاقدة ودسائس مغرضة .

فالقوامة حق للمرأة على الرجل، وحرية للمرأة وقيد للرجل، وراحة للمرأة وإجهاد للرجل. إنها مسؤولية عظمى أنيطت بالرجل وميثاق غليظ أخذ عليه ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ [النساء: ٢١]، والميثاق الغليظ أخذه الله من النبيين ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ فأي وثاق للرجل أشد من هذا الوثاق وأي قيد أشد منه .

إن القوامة تعني حماية المرأة من كل ما يؤذيها في نفسها، وعقلها وبيتها وأولادها ومالها والذب عنها لتنام في بيتها آمنة مطمئنة.

---

(١) القوامة : مروان أبو صلاح، موقع ديوان العرب، الشبكة العالمية ١٤/مارس/ ٢٠٠٨م .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: « قوامون: المراد أنهم يقومون بالذب عنهن كما تقوم الحكام والأمراء بالذب عن الرعية، وهم أيضاً يقومون بما يحتجن إليه من النفقة والكسوة والمسكن » (١).

إن القوامة تعني أن يدفع الرجل المهر وأن يدفع من ماله كل ما تحتاجه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وكل حاجاتها الضرورية .

إن القوامة تعني أن يلاطف الرجل زوجته وأن يبتسم في وجهها وأن يحترم رأيها وأن يشركها في إدارة مؤسسته التربوية، وأن تشاركه تربية الأبناء وتوجيههم وتفقدهم.

إن القوامة تعني حسن المعاملة وحسن العشرة، وبذل ما في الوسع لإسعادها وذلك كله وأكثر مجمل في قوله ﷺ الذي رسم منهج القوامة: « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »(٢).

إن للقوامة حداً تنتهي إليه فهي لا تمتد إلى الدين أو المعتقد فليس للرجل أن يكره زوجته الكتابية على الإسلام، أو حتى على مذهب فقهي معين أو حكم من الأحكام الاجتهادية ما دام هذا الرأي لا يعتبر بدعة مضلة.

كما أن القوامة لا تمتد إلى حق المرأة في التصرف بمالها الخاص وليس له أن يفرض وصايته عليها في تصرفاتها المالية بالهبة أو الوقف أو البيع أو الشراء وليس له أن يفرض عليها أمره في الوصية بالمال، ولا تلزمها طاعته في المعصية، أو ارتكاب ما تراه محرماً أو ما يخالف مذهبها أو عقيدتها .

والقوامة لا تعني نقصان المرأة عن الرجل في الحقوق والواجبات الملقاة على عاتقها في رعاية الأسرة إنما تعني توزيع الاختصاصات والأعمال في مجال الأسرة وأن الرجل يختص بالقيادة للأسرة والقيادة لا تعني بطالة الجنود فكل له عمله وكل له اختصاصه والقائد هو المشرف على هذه الأعمال الموجه لها فالمرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج١ ص٤٦٠ .
(٢) سبق تخريجه .

الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

والقوامة لا تعني سلب شخصية المرأة، أو ضعف عقلها، أو عدم الثقة فيها بل تعني أن القوامة ليست إلا نوع من التنظيم تفرضه ضرورة سير القافلة. ولم تقم القوامة على أساس عجز كلي في المرأة بل ينبغي مشاركتها في الإدارة والإدارة شورى داخل الأسرة ينبغي أن لا يستبد طرف بالأمر كله بل تؤخذ آراء كل الأطراف بالاعتبار في حدود أحكام الشريعة وتكون القوامة هي الكلمة الفاصلة التي يحتاجها البيت عند نشوب خلاف لا ينهيه إلا كلمة فصل (١).

والقوامة لا تلغي المساواة، المساواة بين شقين متمايزين لا شقين متماثلين مساواة تعني التكامل لا التنافر .

ثم تأمل فاصلة آية القوامة ﴿ إن الله كان علياً كبيرا ﴾ وفيها إشارة وتنبيه وتحذير للرجال من سوء استخدام القوامة فإن كنت أعلى سلطة من المرأة فإن الله أعلى منك وإن كنت كبيراً فالله أكبر فإياك من إساءة استخدام القوامة فإن الله محاسبك ومراقبك ومجازيك إن خيراً فخير وإن شراً فشر فهو العلي الكبير .

وبعد :

هذه هي القوامة .

فأين سلب حرية المرأة فيها ؟

وأين الإهانة ؟

وأين الاستعباد ؟

أما والله لو فقهت نساء الغرب معنى القوامة في الإسلام لطالبت جميعاتهن بها. إنها سعادة المرأة أماً وبنتاً وزوجة وأختاً، إن المرأة في القوامة مكرمة، مصانة، مرعية، معززة.

وللذين يهمهم رأي المجربات للحرية، الغارقات فيها هذه المحامية الفرنسية «كريستين» زارت الشرق فكتبت بعد عودتها تقول: « سبعة أسابيع قضيتها في زيارة كل من بيروت ودمشق

---

(١) القوامة بين « السلطة الأبوية » و«الإدارة الشورية»، هبة رؤوف، موقع إسلام أون لاين نت ١٥ مايو ٢٠٠٠م.

وعمان وبغداد وها أنا أعود إلى باريس .. فماذا وجدت .. وجدت رجلاً يذهب إلى عمله في الصباح .. يتعب .. يشقى .. يعمل .. حتى إذا كان المساء عاد إلى زوجته ومعه خبز، ومع الخبز حب، وعطف، ورعاية لها ولصغارها .. الأنثى في تلك البلاد لا عمل لها إلا تربية الجيل، والعناية بالرجل الذي تحب. أو على الأقل الرجل الذي كان قدرها. في الشرق تنام المرأة وتحلم وتحقق ما تريد، فالرجل وفر لها خبزاً وراحة ورفاهية، وفي بلادنا – حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة – فماذا حققت؟! المرأة في غرب أوربا سلعة فالرجل يقول لها: انهضي لكسب خبزك فأنت قد طلبت المساواة، ومع الكد والتعب لكسب الخبز تنسى المرأة أنوثتها وينسى الرجل شريكته وتبقى الحياة بلا معنى .

ولخص جاردنر آرمسترونج أسباب انهيار الأسرة الأمريكية بعد أن سقطت قوامة الرجل في كتاب بعنوان « كيف يمكن أن تحقق السعادة في حياتك الزوجية » بقوله: «لماذا تشعر أغلب النساء بالخيبة والشقاء ؟ لأنهن خرجن عن فطرتهن. ولماذا يتأنث معظم الرجال ويفشلون أزواجاً؟ لأنهم تخلوا عن أصالتهم الفطرية» (١).

وهذه الروائية الإنجليزية الشهيرة أجاثا كريستي تقول بعد تجاربها وخبرتها الطويلة: «إن المرأة مغفلة، لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم، لأننا بذلنا الجهد الكبير للحصول على حق العمل والمساواة مع الرجل، ومن المحزن أننا أثبتنا – نحن النساء – أننا الجنس اللطيف الضعيف، ثم نعود لنتساوى اليوم في الجهد والعرق اللذين كانوا من نصيب الرجل وحده » (٢).

وفي دراسة للدكتور محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود للمرأة العاملة في الرياض ذكر أن ٨٩.١٦ % من العاملات ذهبن إلى أن وظيفة المرأة الأساسية هي: « التنشئة الاجتماعية والسلوكية للأطفال وهذا لا يتأتى إلا بالمراقبة المباشرة والحضور المستمر للأم بين أطفالها وأسرتها » (٣).

---

(١) قوامة الرجل تحرر المرأة وتقيد الرجل: د. فاطمة عمر نصيف، موقع نادي الكهف .
(٢) القوامة سعادة المرأة واستقرار الأسرة، فوزي منصور، موقع إخوان أون لاين ٢٠٠٨/٢/٣م .
(٣) قوامة الرجل وخروج المرأة للعمل، د. محمد بن سعد آل سعود، ص١٢٩ .

زارت إحدى الأخوات المسلمات جارة لها ألمانية الجنسية، وأثناء تلك الزيارة سألتها جارتها عن عملها. فأخبرتها لا تعمل بل هي ربة بيت. فتعجبت من ذلك وسألتها: إذاً من ينفق عليك؟ قالت الأخت: زوجي. فازدادت الألمانية عجباً. وقالت لها: لكنك ترتدين ملابس جميلة وغالية وحلياً كثيرة، فهل يشتريها لك زوجك من ماله الخاص أيضاً؟ قالت: نعم. فزادت دهشة المرأة الألمانية وسألت: مقابل ماذا يشتري لك زوجك كل هذه الأشياء؟ فقالت: مقابل أنني زوجته [1]. فانظر إلى مدى استغراب هذه المرأة أن يقوم زوج بتحقيق ذلك لزوجته وما درت عن القوامة وما عرفتها ولو كان ذلك لما استغربت .

وذكر الأستاذ محمد رشيد العويد في كتابه (مشكلات نسائية) قصة (مورين لاكي) المرأة الفرنسية التي طلبت الطلاق من زوجها بعد مضي خمس عشرة سنة من زواجها وقالت في عريضتها إنها ظلت طوال سنوات الزواج تتمنى لو سمعت من زوجها أريد، أو يجب أن تفعلي كذا، أو لا تفعلي كذا، فسألها القاضي: أليس في هذا دعوة المرأة إلى الحرية والمساواة؟ فصرخت قائلة: كلا .. كلا .. أنا لا أريد منافساً في أنوثتي بل أريد زوجاً يحكمني ويقودني [2] إنها صرخة الفطرة .

وأخيراً فهذا الدكتور أوجست فوريل يكتب عن «سيادة المرأة» فيقول: «يؤثر شعور المرأة بأنها في حاجة إلى حماية زوجها على العواطف المشعة من الحب فيها تأثيراً كبيراً، ولا يمكن للمرأة أن تعرف السعادة إلا إذا شعرت باحترام زوجها وإلا إذا عاملته بشيء من التمجيد والإكرام. ويجب أيضاً أن ترى فيه مثلها الأعلى في ناحية من النواحي، إما في القوة البدنية أو في الشجاعة، أو في التضحية وإنكار الذات، أو في التفوق الذهني، أو في أي صفة طيبة أخرى. وإلا فإنه سرعان ما يسقط تحت حكمها وسيطرتها، أو يفصل بينهما شعور من النفور والبرود وعدم الاكتراث، .. ولا يمكن أن تؤدي سيادة المرأة إلى السعادة المنزلية لأن في ذلك مخالفة للحالة الطبيعية التي تقضي بأن يسود الرجل المرأة بعقله وذكائه وإرادته، لتسوده هي

(١) إسقاط القوامة لمصلحة من؟ منى محمد العمد، منتديات طارق السويدان .

(٢) إسقاط القوامة لمصلحة من؟ منى محمد العمد، منتديات طارق السويدان .

بقلبها وعاطفتها » [١].

وما كنا بحاجة إلى أن نذكر مثل هذه الأقوال والتجارب والنتائج لولا أن هناك من لا يقتنع إلا بالتجارب والمعامل والنتائج الميدانية.

آثار التخلي عن القوامة :

وبنظرة سريعة إلى الإحصائيات الاجتماعية في أمريكا وأوربا وهي الدول ذات الشأن عند من يدعون إلى حرية المرأة نرى النتائج الوخيمة للمصادمة بين سيادة المرأة المغتصبة وقوامة الرجل المغلوبة حيث يتحول الرجل إلى الجريمة، ففي دراسة أمريكية أجريت عام ١٩٨٧م أشارت إلى أن ٧٩ % من الرجال يقومون بضرب النساء خاصة إذا كن زوجاتهن واعتمدت الدراسة على استفتاء أجراه د. جون بيرير الأستاذ المساعد لعلم النفس في جامعة كارولينا الجنوبية بين عدد من طلبة الجامعة، وأشارت الدراسة إلى أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عال جداً [٢].

وقالت جانيس مور وهي منسقة في منظمة (الإئتلاف الوطني ضد العنف الدولي) ومقرها واشنطن إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلى حد هائل، فالأزواج يضربون نساءهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة مما يؤدي إلى دخول عشرات الآلاف منهن إلى المستشفيات للعلاج. (وأضافت) أن نوعية الإصابة تتراوح بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وبين ضربات أخرى بالكراسي والسكاكين والقضبان المحماة. ثم قالت: إننا نقدر بأن عدد النساء اللواتي يضربن في بيوتهن كل عام يصل إلى ستة ملايين امرأة، وقد جمعنا معلومات من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالي ومن مئات الملاجيء التي توفر المأوى للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن.

وذكرت دراسة في ألمانيا احتمال أن يصل الرقم إلى ما يزيد عن المليون من النساء اللاتي يتعرضن لأعمال العنف من الأزواج .

---

(١) عودة الحجاب، محمد بن أحمد بن إسماعيل، ج٢ ص٩٩ .
(٢) من أجل تحرير حقيقي للمرأة، محمد بن رشيد العويد، ص٩٧ .

وفي فرنسا تتعرض حوالي مليون امرأة – أيضاً – للضرب مما دعا أمينة سر الدولة لحقوق المرأة – في فرنسا – ميشال إندريه أن تصرخ « حتى الحيوانات تعامل أحياناً أحسن منهن فلو أن رجلاً ضرب كلباً في الشارع فسيتقدم شخص ما بشكوى إلى جمعية الرفق بالحيوان، ولكن إذا ضرب رجل زوجته في الشارع فلن يتحرك أحد [١].

وهناك إحصائيات كثيرة في دول أوربا والصين وشرق آسيا ممن تخلى عن القوامة وأعطى السيادة المطلقة للمرأة وتخلى فيها الرجل عن القيادة فصار الصراع بعد صحوة الرجل على سيادته الضائعة فلم يجد إلا العنف لاستردادها ولو تدارك أولئك الأمر في بدايته وأحسنوا معاملة المرأة وكرموها وقدروها لما كان الصراع ولا الخلاف.

أسباب التخلي عن القوامة :

ولعلنا نشخص على عجل يناسب مقام هذا البحث بعض أسباب التخلي عن القوامة أو ضعفها في أمور منها:

١- تأثير وسائل الإعلام وإظهار صورة زائفة للمرأة الغربية مخالفة كثيراً للواقع الذي صرح به كثير من نسائهم .

٢- ضعف الشعور الديني عند بعض الرجال، وتخليه عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بيته، حيث يملأ بيته بالقنوات الهابطة، والمجلات الخليعة، والأزياء الغربية، ويرى ما يرى من أهله فلا ينكر منكراً ولا يأمر بمعروف، وكأنه لا يملك من أمره شيئاً.

٣- ضعف الوازع الديني في بعض الأسر .

٤- ضعف شخصية الرجل وانقياده للمرأة الضعيفة التي تقودها عاطفتها إلى ما فيه ضررها وأسرتها.

تلك بعض الأسباب .

العلاج :

---

(١) القوامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، رشيد كهوس، ص١١٦ .

ولعل علاج مشكلة جهل كثير من الناس بمعنى القوامة وتشويهها في الأذهان بأمور منها:

١- التربية الإسلامية للأبناء عامة، وللبنات خاصة بتعليمهن مفهوم القوامة ومعناها وما تكفله لها من حقوق ومزايا .

٢- التربية بالقدوة، فالمرأة الوفية لزوجها في غيابه وحضوره، المطيعة له، القائمة بحقوقه وحقوق البيت، تقدم مثالاً صالحاً لبناتها. ولذا كان صلاح الأم من مواصفات الزوجة الصالحة.

٣- صيانة البيت وتطهيره من وسائل الإعلام المنحرفة، والقنوات الفضائية الهابطة، فهي معاول هدم لبنيان الأسرة وتدمير للأخلاق .

٤- التوعية بحقوق الزوجين وما لهما وما عليهما، وآثار أدائهما على سعادة الزوجين والأبناء.

٥- وينبغي أن تدرك المرأة أن تلك القوامة أسندت إلى الرجل لأمرين لا يتوفران فيها: أولهما: ما وهبه الله للرجال من خصائص جسمية وكمال العقل وحسن التدبير، ولذا خص الرجال بالنبوة والإمامة والولاية ووجوب الجهاد والجمعة والجماعة .

وثانيهما : ما أوجبه الله على الرجل من مهر يدفعه إلى المرأة، ونفقة واجبة عليه لها، ولذا فقد استدل جماعة من العلماء بهذه الآية على جواز فسخ النكاح إذا عجز الزوج عن نفقة المرأة وكسوتها .

فانظر إلى مكانة القوامة من الزوجية. فعجز الزوج عن النفقة تقصير في القوامة يعني عدم قدرته عليها والقصور في أداء حقوقها، وهذا يعطي المرأة حق فسخ النكاح، فلا زواج بلا قوامة .



الخاتمـة :

وبهذا يظهر أن ما يعانيه العالم أجمع من مشاكل أسرية وتفكك وحوادث طلاق وجرائم زوجية واجتماعية يرجع في معظمه إلى خلل في بناء الأسرة وتنظيم الأدوار فيها وتوزيع المسؤوليات والأعمال.

وفي (القوامة) بمعناها الشرعي ونظامها وحدودها وشروطها ضمان لسلامة أفراد الأسرة وأمنها.

فأين المرأة التي تقر في بيتها آمنة مطمئنة، مرعية مصونة وفر لها زوجها المسكن والمأكل والمشرب وحسن الرعاية، وتفرغت لما جبلت عليه عاطفة تبثها في أطفالها وتنشرها في بيتها، وتقوم بحقوق زوجها، والمرأة الأخرى التي قلبت الفطرة وخالفتها فخرجت تزاحم الرجال في المعامل والمصانع والمكاتب، ذاك يغمزها وهذا يهمزها وذاك يتربص بها طمعاً في مالها أو جسدها، فإذا عادت إلى البيت عادت منهكة لم يعد في جعبتها من عاطفة تذكر لأولادها، فضلاً عن القيام بأعباء المنزل، فاستعانت بالرجل واختلت الأمور وتمزقت الأسرة.

إن التقليد الأعمى للحضارة الغربية لا يورث إلا القلق والاكتئاب وخنزرة الأخلاق وضعف القيم والمبادئ .

فالقوامة التي كفلها الإسلام للمرأة ترفع الحيف عنها وظلمها، وما أحوج المرأة في هذا العصر إلى القوامة لو أدركت المرأة ذلك، فهي لا تعني إهدار شخصيتها أو النيل من كرامتها أو مقومات إنسانيتها أو الحد من حريتها في مالها أو حقوقها. بل تعني أمنها واستقرارها وراحتها النفسية والجسدية لتؤدي رسالتها في تربية أبنائها، ورعاية زوجها، وبث طاقتها العاطفية في البيت ليسوده الوئام والسلام .

التوصيات :

ولعلي أوصي في خاتمة هذا البحث بتوصيات أحسب أن فيها ما يعين على صلاح المجتمعات:

١- استخدام وسائل الإعلام بشتى أنواعها لتصحيح معنى القوامة ونشر المفهوم الصحيح لها.

٢- دعوة الجمعيات النسائية والمنظمات الحقوقية إلى التجرد في دراسة هذا التشريع إعمالاً للحق، والتماساً لعلاج المجتمعات من أسباب الجريمة .

٣- اشتراك عدد من العلماء الشرعيين وعلماء النفس والاجتماع لكتابة دراسة شرعية نفسية اجتماعية عن القوامة وآثارها وترجمتها إلى لغات العالم الحية وتوزيعها أداءً للرسالة وإظهاراً لمزايا التشريع الإسلامي وإصلاحاً للمجتمعات .

٤- عقد مؤتمرات في البلدان الغربية والإسلامية يدعى إليها علماء التشريع والاجتماع والنفس والتربية والتعليم في الدول الغربية عن الأسرة ونظامها في الإسلام وإبراز معنى القوامة .

المصادر والمراجع

*** الكتب :**

١- أحكام القرآن: أبو بكر العربي تحقيق علي محمد البجاوي، ط٢، عيسى الحلبي ١٣٨٧-١٩٦٧م .

٢- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط١، ١٤١٨- ١٩٩٧م .

٣- التفسير الكبير: الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض.

٤- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، ١٣٦٧هـ .

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .

٦- جامع البيان: ابن جرير الطبري، تحقيق د. عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط أولى، ١٤٢٢- ٢٠٠١م .

٧- جامع الترمذي: دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢١- ٢٠٠٠م .

٨- سنن أبي داود: دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢١- ٢٠٠٠م .

٩- سنن النسائي: دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢١- ٢٠٠٠م .

١٠- سنن ابن ماجه: دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢١- ٢٠٠٠م .

١١- شبهات حول الإسلام: محمد قطب، ط٥، ١٩٦٢م .

١٢- صحيح البخاري: دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢١- ٢٠٠٠م .

١٣- صحيح مسلم: دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢١- ٢٠٠٠م .

١٤- عودة الحجاب: محمد أحمد المقدم، دار طيبة، الرياض .

١٥- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٣- ١٩٦٤م .

١٦- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ، بيروت – القاهرة.

١٧- قوامة الرجل وخروج المرأة للعمل، العلاقة والتأثير: د. محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل

سعود، ط الأولى ١٤٢٢هـ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.

١٨- القوامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية: رشيد كهوس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن – عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٨- ٢٠٠٧م .

١٩- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت .

٢٠- المحرر الوجيز: ابن عطية، تحقيق: عبدالله الأنصاري وآخرين، طبع على نفقة الشيخ خليفة آل ثاني أمير قطر، ١٤٠٢هـ الطبعة الأولى .

٢١- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

٢٢- مسند الإمام أحمد .

٢٣- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، طبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر.

٢٤- من أجل تحرير حقيقي للمرأة: محمد رشيد العويد: دار حواء الكويت، دار ابن حزم بيروت، ط. الثانية ١٤١٤- ١٩٩٤م .

**** الجرائد والمجلات :**

جريدة القبس الكويتية، العدد ١١٧٨ في ١٩٧٥/٨/٣٠م .

***** مواقع في الشبكة العالمية :**

١- موقع إخوان أون لاين .

٢- موقع إسلام أون لاين .

٣- موقع ديوان العرب .

٤- موقع نادي الكهف .

٥- منتديات طارق السويدان .